الفصل الأول

تطور المسرح التربوى

تطور المسرح التربوى

تُعد معرفة الإنسان بالتمثيل والتعبير الدرامى معرفة قديمة قدم الإنسان نفسه، منذ أن ظهر على سطح الأرض، فقد عُرف عن الإنسان البدائى ولعه الشديد بمحاكاة الطبيعة من حوله، حيث كانت الطبيعة ومظاهرها المختلفة، هى محور تفكير الإنسان البدائى وشغله الشاغل، نظراً لتأثيرها العميق فى حياته اليومية آنذاك، والتى كانت تتركز حول الحصول على الماء والطعام والمأوى الآمن للمحافظة على حياته من خطر الوحوش الضارية، لذلك كان التقليد والمحاكاة أول درس يتعلمه الإنسان فى مدرسة الطبيعة، لذلك لم يكن غريباً أن يكون أول معلم للإنسان ـ بعد الله سبحانه وتعالى ـ هو الغراب! نعم الغراب الذى أرسله الله ليعلم (قابيل) كيف يوارى جسد أخيه (هابيل) بعد أن قام بقتله، وفشل فى إخفاء معالم جريمته الشنعاء، حيث قام الغراب ـ الذى قد يتشاءم البعض منه ـ بتعليمه من خلال الحركات الأدائية طريقة دفن الموتى، وهى الطريقة المتبعة حتى الآن، وهذا النوع من التعليم هو ما يطلق عليه البعض التعليم القائم على الملاحظة والمحاكاة.

ويمكن القول أن الإنسان ممثل بطبعه، فالطفل الصغير يقوم بحركات تمثيلية يستهدف من ورائها جذب انتباه الكبار، وانتزاع ضحكاتهم، ويستمر فى ممارسة هذا السلوك، أثناء جميع مراحل نموه المختلفة، ليتمكن من أداء كافة الأدوار الاجتماعية، التى يتوقعها منه المجتمع، وهو ما يساعده على تحقيق التوافق الاجتماعى، ويلاحظ أن الإنسان البدائى استخدم عملية التمثيل فى إعداد وتدريب الأطفال الصغار، على مواجهة الحياة المقبلة، من خلال التقليد والمحاكاة، حيث اهتمت القبائل بتعليم أطفالها طرق الصيد والقنص وحماية القبيلة من أخطار الفيضانات والكوارث الأخرى.

وقد ذكر (أرسطو) فى كتابه فن الشعر أن المحاكاة أمر فطرى لدى الإنسان منذ ولادته، وأن الإنسان يتعلم أول ما يتعلم من خلال المحاكاة. والمحاكاة صورة من صور الدراما، لذلك فإن الدراما جزء من تكوين الإنسان أينما حل وأينما كان، فى سكناته وحركاته وأفعاله، وهو ما يفسر لنا اشتقاق كلمة (دراما) من الكلمة الإغريقية

(Dramatos) بمعنى يفعل أو يعمل، فهى تعنى أى عمل يقوم به الإنسان سواء فى الحياة أو على المسرح. وكلمة دراما تستبدل أحياناً كثيرة فى الكتابات المتعلقة بالدراما، بكلمة (مسرحية) وكلاهما بمعنى واحد؛ حتى لا يختلط الأمر على البعض.

والمسرح على مر العصور التاريخية المختلفة ـ كان ولا يزال ـ هدفه الأساسى هو التربية والتعليم والإعلام، فهو يحمل رسالة تتضمن العديد من الأفكار والمفاهيم والقيم والاتجاهات والمهارات، التى يهدف إلى أن يكتسبها جمهور المشاهدين، على اختلاف تخصصاتهم وانتماءاتهم وأعمارهم، فقد يعتقد البعض أن التربية والتعليم تقتصر فقط على المدرسة دون غيرها من مؤسسات المجتمع، متجاهلين بذلك دور الأسرة، ودُور العبادة، والأقران، ووسائل التعليم والإعلام والتى تضم المسرح والسينما والتليفزيون والفيديو والحاسب الآلى والانترنت والصحف والمجلات... وغيرها من وسائل التعليم والإعلام، حيث ثبت علمياً من خلال الدراسات الحديثة أن مقدار ما يتعلمه الفرد خارج جدران المدرسة يبلغ حوالى (٨٠٪) من إجمالى ما يتعلمه، لذلك كان الحرص على أن تقترن كلمة «المسرح» بكلمة «التربوى»، فالمسرح بكافة أنواعه، وتوجهاته، وأشكاله الفنية، ينبغى أن يكون مسرحاً تربوياً تعليمياً فى المقام الأول، ومن يستخدمه فى غير ذلك الغرض، فقد خرج عن الهدف الذى من أجله أنشىء المسرح منذ أقدم العصور.

لذلك لم يكن من قبيل الصدفة، أن يردد البعض العبارة الشهيرة التى تبرز أهمية دور المسرح فى عملية التربية، والتى تقول «***أعطنى مسرحاً أعطك شعباً أفضل***» فالمسرح التعليمى يُعد مدرسة من طراز خاص، يستطيع أن يصل من خلالها رجال الإصلاح والفكر والتربية إلى غايتهم بسهولة ويسر، فالمسرح هنا بمثابة الدواء الشافى المخلوط بالعسل، ليصبح حلو المذاق، ليتجرعه الإنسان دونما مشقة أو ضجر، لذا فإن المسرح يعد أداة أساسية من أدوات التربية الحديثة، التى لا يستطيع الإنسان أن يتجاهلها، أو يغض الطرف عنها. ويعبر عن هذا المعنى (لوركا) بقوله «إن مسرحاً لا يضم بين دفتيه حركة المجتمع ونبض التاريخ، ومأساة شعبه، ويصور بصدق أرضه وروحه، بالضحكات والدموع، لا يستحق اسم المسرح، بل يكون مكاناً للهو...» لذلك فإن قيام البعض بإساءة استخدام المسرح، لا ينبغى أن يقلل من أهمية وقدر

المسرح ودوره الحيوى فى خدمة المجتمع، باعتباره وسيلة هامة من وسائل التربية التى تعتمد على النشاط والمتعة.

ومن يتتبع التطور التاريخى للمسرح التربوى يجد أنه مر بعدة مراحل، يمكن استعراضها فيما يلى:

المسرح فى مصر القديمة:

عندما يقوم الباحثون بتتبع تاريخ فكرة معينة، ويرجعون إلى المصادر التاريخية التى تتميز بالأمانة والموضوعية، لمعرفة الجذور التاريخية لهذه الفكرة، غالباً ما يجدون أن المصريين القدماء، كان لهم السبق والريادة فى وضع اللبنة الأولى لتلك الفكرة، وأنهم قد تركوا وراءهم العديد من الآثار التى تثبت صحة ذلك، وهو ما ينسحب أيضاً على المسرح التربوى، حيث تشير أوراق البردى، والآثار التى تركها المصريون القدماء، أن المسرحيات كانت تعرض فى مصر القديمة فى (منف، وأبيدوس، وسايس) وغيرها من المدن الرئيسة، خلال الألف الثانية قبل الميلاد، والدليل على ذلك عبارة عن لوحة كُشف عنها فى (إدفو) عام (١٩٢٢م) والتى يظهر من نقوشها وجود عروض مسرحية تتميز بالطابع الدرامى، والتى تتناول تخليد ذكرى موت (أوزوريس) وكيف قُتل على يد أخيه (ست) وتناثرت أشلاؤه فى معظم أنحاء مصر، وكيف جمعتها زوجته (إيزيس) مرة أخرى.

كما ذكر المؤرخ الإغريقى القديم (هيرودوت) الذى زار مصر حوالى عام ٤٤٠ ق. م فى كتاباته، أنه شاهد أحد عروض قصة (أوزوريس وست) وهى تمثل داخل أحد المعابد المصرية. وتشير الآثار إلى جود كراسات خاصة بالممثلين تحتوى على نصوص الحوار بالكامل، وتتضمن بعض التوجيهات المسرحية، وقد كُتبت بعض هذه المسرحيات شعراً وبعضها نثراً، والبعض الآخر جمع بين الشعر والنثر، وقد كانت الأساطير القديمة هى المادة الأساسية التى اشتقت منها أحداث المسرحيات، والتى كانت تتضمن العديد من القيم الدينية والأخلاقية، التى تدور معظمها حول فكرة الصراع الأبدى بين الخير والشر.

ويذكر (إتيين دريوتون) فى كتابه عن المسرح المصرى القديم، أن مصر القديمة قد شهدت نوعين من العروض المسرحية هما:

١ـ الحفلات الطقسية، التى كان يقيمها الكهنة فى المعابد أثناء الأحتفالات المختلفة، كأحتفالات تتويج ملك جديد، والتى تعرف بدراما التتويج، والتى اعتمد فيها الأداء الدرامى على الإيماءات والحركات الشعائرية، وبعض العبارات التى تتعلق بهذه الطقوس، وكان يسمح للمشاهدين فى بعض الأحيان بحضور تلك الحفلات.

٢ـ المسرحية الدينية، وهى مسرحيات تتشابه إلى حد بعيد مع شكل المسرحيات التى نعرفها اليوم، والتى تعتمد على الأشخاص والحوار والحركة.

هذا بالإضافة إلى وجود المسرحيات التاريخية مثل مسرحية (ميلاد حور وتأليهه) والمسرحيات التى تعتمد فكرتها الأساسية على الجوانب الأخلاقية مثل مسرحية (إيبوس وعقاربها السبعة) كما كانت هناك المسرحيات الهزلية مثل مسرحية (هزيمة أبوفيس الشاملة) والمسرحيات السياسية مثل مسرحية (عودة ست) والتى تضمنت بعض الدلالات الرمزية المناهضة للاحتلال الفارسى لمصر (٥٢٥: ٣٣٠ ق. م) وهو ما يوضح الدور المهم الذى يمكن أن يقوم به المسرح لتغذية الشعور الوطنى لمقاومة الاحتلال وتحرير الوطن، وفى تحقيق أهداف التربية السياسية بصفة عامة.

وعلى ذلك يلاحظ أن المسرح المصرى القديم ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقائد الدينية، وأن نشأة المسرح فى مصر تسبق نشأته عند الإغريق القدماء، حيث يشير مؤرخو المسرح إلى أن قدامى المؤلفين المسرحيين من الإغريق، قد تأثروا بالمسرحيات الدينية المصرية القديمة، ولكن إحقاقاً للحق، فإن ملامح الدراما بالمعنى المعروف، لم تظهر بصورة متكاملة العناصر إلا على يد الإغريق القدماء.

المسرح فى بلاد الإغريق:

يرجع تاريخ المسرح فى بلاد الإغريق إلى عام (٤٩٠ق.م) عندما عرض (أيسكولوس) أول عروضه التراجيدية فى مدينة (أثينا) على جمهور المشاهدين، وكان الفن التمثيلى لدى الإغريق قبل ذلك التاريخ، يعتمد على الحوار الشعرى، وكان الإلقاء عبارة عن أناشيد منغمة، وقد تطور المسرح بعد ذلك، وأخذ الشكل الدرامى المتعارف عليه، على يد كل من (أيسكولوس وسوفوكلوس) وقد تميز المسرح

الإغريقى بالبساطة، فكان يكتفى بمنظر واحد لا يتغير طوال زمن عرض المسرحية، وكانت أماكن جلوس المشاهدين، عبارة عن مدرج على شكل نصف دائرة، ثم أدخلوا تعديلات بعد ذلك على المسرح، فأصبح مرتفعاً لتحقيق مزيد من التأثير فى الجمهور، وتوفير الرؤية الجيدة للعرض المسرحى.

وقد عرف الإغريق استخدام الأقنعة أثناء التمثيل، حيث تعددت وتنوعت الرسومات الموجودة على الأقنعة، باختلاف الأدوار والشخصيات، فإذا كان الدور الذى يقوم به الممثل دوراً تراجيدياً، ارتدى قناعاً يعبر عن الحزن والكآبة، وإذا كان دوراً فكاهياً، يرسم على القناع شكل يحمل ملامح تبعث على الضحك والفكاهة، وهو الأمر الذى يوضح مدى رسوخ فن الدراما لدى الإغريق القدماء فى تلك الفترة المبكرة من التاريخ، حيث قاموا بوضع الأسس الخاصة بفنيات المسرح، والتى أخذها عنهم فيما بعد بقية شعوب العالم، خاصة الدولة الرومانية التى ورثت حضارة بلاد الإغريق.

المسرح الرومانى:

تأثر المسرح الرومانى تأثراً كبيراً بالمسرح الإغريقى، إلا أن الأعمال الدرامية التى قدمها الرومان، كانت تتسم بالأبهة والعظمة التى تعكس قوة الأمبراطورية الرومانية آنذاك، فقد أضاف الرومان إلى فن بناء المسارح زخارف ونقوش معمارية لم تكن موجودة من قبل، حيث أدخلوا تصميم الأقواس فى بناء مسارحهم، التى أقاموها على أرض مستوية مخالفين بذلك الإغريق الذين كانوا يقيمون مسارحهم على سفوح التلال، ولكن الواقع أن اهتمام الرومان بالمسرح لم يكن بنفس درجة اهتمام الإغريق، نظراً لاهتمامهم الشديد بمشاهدة المصارعات المثيرة التى كانت تتميز بالوحشية والعنف.

وقد اعترى الفن المسرحى الضعف فترة طويلة، إلى أن ظهرت المسيحية فتحول المسرح فى العصور الوسطى، إلى مسرح كنسى يعتمد على الوعظ والإرشاد الدينى، وقد أقبلت الجماهير على مشاهدة مثل تلك العروض، ثم ما لبث أن انتقل المسرح من الكنائس إلى الأماكن العامة، وبدأ المسرح يتحرر بالتدريج من الصبغة الدينية، بتقديم عروض تحمل أفكارا جديدة تهم عامة الشعب، وذلك فى إطار مسلٍ يُدخل البهجة إلى نفوس المشاهدين.

وتشير الدلائل إلى أن المسرح ظل منذ عهد الإغريق، حتى العصور الوسطى حكراً على طبقة الأمراء والنبلاء وعلية القوم، ولكن هذا الوضع بدأ يتغير بالتدريج خلال القرن السادس عشر، حيث بدأ الجمهور من عامة الشعب يرتاد المسارح، وبدأت اللغة الدارجة تستخدم فى الحوار المسرحى، وأصبح المسرح جزءاً من الحياة العامة، وذلك فى إطار من التجديد الذى تميز به عصر النهضة فى إيطاليا، حيث ازدهر المسرح بسبب روح التنافس التى سادت بين أمراء المدن الإيطالية، على تقديم أفضل العروض المسرحية، وهى نفس الروح التى دبت بين مؤلفى الدراما فى تلك الفترة، الأمر الذى ساعد على انتشار الفن المسرحى الراقى. ومن إيطاليا انتشر الأدب المسرحى فى أوربا، خاصة فى فرنسا وانجلترا وروسيا، كما كانت هناك أشكال درامية أخرى لفن الدراما، موجودة فى مناطق أخرى فى أوربا، مثل فن (القراقوز) فى أسبانيا، والذى كان يتميز بالبساطة والفكاهة، لكن هذا الفن ما لبث أن انحسر تدريجيا بعد ظهور السينما بما لديها من قوة تأثير وإبهار.

المسرح العربى:

من الواضح أن العرب قديماً لم يعرفوا المسرح، ولم يمارسوا التمثيل كما مارسه الإغريق والرومان، حتى بعد إطلاعهم عليه من خلال حركة الترجمة التى ترجموا من خلالها علوم الإغريق المختلفة، ويفسر مؤرخو الدراما ذلك بأن العرب كانوا يعتزون بأدبهم وبلاغتهم، وصناعة الكلام التى جعلوا لها سوقاً (سوق عكاظ) الذى كان يشهد المناظرات الشعرية والخطب التى كانت تُجرى بين الشعراء العرب، لذلك فعندما أطلعوا على المأساة أو التراجيديا الإغريقية اعتبروها تقابل عندهم شعر الرثاء، وعندما أطلعوا على الملهاة أو الكوميديا، اعتبروها تقابل عندهم شعر الهجاء، وهو الأمر الذى يفسر لنا سبب احجام العرب قديما عن ممارسة مثل هذا الفن كغيرهم من الشعوب الأخرى.

ومهما يكن من أمر، فإن هذا لا يمنع من أنه كانت هناك إشارات واضحة تفيد أن العرب أيام الخلافة العباسية، قد عرفوا شكلاً من الأشكال المسرحية المعروفة الآن، وهو مسرح خيال الظل، حيث تشير الدلائل إلى أن فن خيال الظل نبت فى الشرق الأقصى فى بلاد فارس إبان عهد الدولة الإسلامية، واستقر آخر الأمر فى القاهرة.

فتطور وازدهر وانتقل إلى العديد من دول العالم. ويُعد هذا الفن وسيلة للوعظ وللتعبير عن الرأى والنقد الاجتماعى من خلال السخرية والإضحاك حيث توارت الأفكار والآراء التى تنتقد الأوضاع السياسية والاجتماعية فى صور رمزية، حتى ينأى الفنان بنفسه عن بطش الحكام. ويعد فن خيال الظل أول لون من ألوان الفنون المسرحية الى يرتبط بالأدب العربى، وهو فن كان يمزج الجد بالهزل والخيال بالواقع، وقد اعتمد فى بعض الأحيان على المقامات مثل مقامات (بديع الزمان الهمذانى). وقد كان الخليفة العباسى (المتوكل) أول من أدخل الألعاب والمسليات إلى البلاط، حيث كان يتبنى جماعة من الممثلين الهزلين، كان يُطلق عليهم اسم (السَّماجة) وهم جماعة من الناس يقومون بتقليد حركات بعض الأفراد بشكل مضحك لتسلية الجمهور. ومنهم أحد ندماء (المتوكل) واسمه (نصر بن سعيد) الذى أراد أن يُضحك الخليفة بالسخرية من أحد خلفاء دولة بنى أمية السابقين، فاختار شخصية (سليمان بن عبدالملك) المعروف بحبه الشديد للطعام، فأرتجل (نصر) تمثيلية قصيرة بمساعدة بعض الأشخاص، يدور حوارها حول الطعام، بهدف السخرية من شخصية (سليمان بن عبدالملك).

وقد انتشر فن خيال الظل فى مصر، وقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن مسرح خيال الظل كان متنقلاً، تقوم به فرق محددة الأفراد، تتجول فى المدن الكبيرة، وترحل إلى الريف عند الأثرياء فى المواسم والأعياد، كما اتخذت من المقاهى مكانا يُنصب فيه المسرح، وكان مسرح خيال الظل عبارة عن شاشة بيضاء من الكتان، وراءها مصباح كبير من مصابيح الزيت، وتتحرك بين المصباح والشاشة رسوم من الجلد تتحرك على قضبان، فتظهر هذه الرسوم على الشاشة أمام الجمهور. وقد عُرف اللاعب المتخصص فى تحريك الشخوص باسم (المخايل) وكان يعاونه بعض اللاعبين الذين يقومون بالأداء الصوتى لأشخاص القصة، والذين يتميزون بالقدرة على تنويع أصواتهم لتقليد مختلف الشخصيات، وكذلك أصوات الحيوانات والطيور. وقد انتقل هذا الفن إلى تركيا، عندما اصطحب السلطان (سليم الأول) بعضا من المخايليين المصريين، وامتد هذا الفن من تركيا إلى البلاد العربية التى وقعت تحت الاحتلال التركى، مثل سوريا التى انتشر فيها (القراقوز) وانتقل منها إلى مصر. وقد اعتمد فنانو (القراقوز) على الشخصيات والمواقف والنكات المستمدة من خيال الظل.

والواقع أن التمثيل اقتصر بعد ذلك فى بعض البلاد العربية، على بعض الممثلين أو (المحبظين) كما كانوا يطلقون عليهم آنذاك، والذين كانوا يقدمون عروضهم فى بيوت العظماء فى المناسبات الاجتماعية المختلفة كالزواج والختان والموالد.

كما كانت هناك بعض الأشكال الفنية التى كانت تعد ارهاصات للفن التمثيلى فى البلاد العربية ومن هذه الأشكال:

١ـ **شاعر الربابة**، الذى كان يروى القصص الشعبية مصحوبة ببعض من أبيات الشعر الملحن على آلة الربابة.

٢ـ **الحكواتى**، الذى كان يسرد القصص مع قيامه بتقليد شخصياتها وأحداثها.

٣ـ **السامر**، والذى كان يجتمع فيه جمع من الناس فى مكان عام، ويقوم أحد الأشخاص أو المؤدى بتقليد شخصية معينة، ثم يقوم الجميع بالغناء.

٤ـ **صندوق الدنيا**، وهو عبارة عن عرض متتابع لمجموعة من صور الأحداث والأبطال، يتم تكبيرها عن طريق عدسات، وهذا النمط يدخل فى باب التمثيل على سبيل المجاز؛ لأن عارض الصور يقوم بدور المنشد أو القصاص فى سرد الأحداث التى تدور حول الصور التى يعرضها على الجمهور.

وواقع الأمر أن هذه الفنون الشعبية، كان لها أكبر الأثر فى تهيئة الشعوب العربية لتقبل الفن المسرحى عن دول الغرب، وذلك ابتداءً من القرن التاسع عشر، عندما قام اللبنانى (مارون النقاش) (١٨١٧ ـ ١٨٥٥م) بإدخال الفن المسرحى بشكله المعروف الآن، لأول مرة فى البلاد العربية، والذى اقتبسه من إيطاليا، وذلك من خلال تقديم مسرحية (البخيل) والتى تم وضعها فى قالب من الشعر العربى، إلا أنها مأخوذة من مسرحية (البخيل) للكاتب الفرنسى الشهير (موليير) وقد قام (مارون النقاش) بتقديم المسرحية على مسرح أقامه فى بيته فى بيروت عام (١٨٤٨م) وفى بمصر بدأت نهضة المسرح المصرى منذ أيام (الخديوى إسماعيل) حيث سارعت الفرق المسرحية إلى الحضور إلى مصر استعدادا لافتتاح قناة السويس، وسط احتفالات فنية ضخمة، لذلك هاجر إلى مصر بعض الفنانين المسرحيين من الشام ومنهم (سليم النقاش) (ابن أخ مارون) وفرقته المسرحية، التى قدمت عدداً من المسرحيات على مسرح

(زيزنيا) كما قام (يعقوب صنوع) بإنشاء أول مسرح فى مصر بالقاهرة عام (١٨٧٦م)... ثم ما لبث أن تطور المسرح فيما بعد بفضل الإسهامات الأدبية لتوفيق الحكيم، وغيره من الأدباء والشعراء.

ويمكن إجمال بعض الملاحظات العامة عن بداية نشأة المسرح المصرى فيما يلى:

١ـ على الرغم من نشأة المسرح العربى الحديث فى لبنان عام (١٨٤٨م) إلا أنه لم يتطور ويأخذ حظه فى النمو والأزدهار إلا فى مصر.

٢ـ اقتبست معظم المسرحيات فى البداية من المسرح الفرنسى بعد تمصيرها.

٣ـ حافظت معظم المسرحيات على اللغة العربية الفصحى.

٤ـ بدأت اللغة العربية العامية تعرف طريقها إلى المسرح، مع ظهور طبقة جديدة من المتفرجين الذين بدأوا يرتادون المسارح.

٥ـ بدأ المجتمع يحترم ويقدر قيمة الفن المسرحى.

تطور المسرح المدرسى فى مصر:

كان أول ظهور للمسرح المدرسى فى مصر عام (١٨٧٩م) عندما انشأت مدرسة تابعة للجمعية الخيرية الإسلامية بالإسكندرية، والتى تولى فيها (عبدالله النديم) تدريب التلاميذ على الخطابة والتمثيل، من خلال بعض المسرحيات التى قام بتأليفها، والتى كانت تنتقد الأوضاع الاجتماعية والسياسية التى كانت سائدة فى ذلك الوقت.

وفى عام (١٩٢٢م) تم إنشاء مسرح فى مدرسة الخديوية، والذى يعد أول مسرح فى المدارس المصرية. وفى عام (١٩٣٦م) اعترفت وزارة المعارف رسميا بالنشاط التمثيلى فى المدارس، وكونت له تفتيشاً أطلق عليه (تفتيش التمثيل) ويرجع الفضل فى ذلك إلى رائد المسرح المصرى (زكى طليمات) الذى تقدم بمذكرة إلى وزارة المعارف العمومية، لتكوين الفرق التمثيلية بالمدارس الثانوية، وقد وافقت الوزارة على إنشاء مسرح فى كل مدرسة ثانوية يسهل فكه وتركيبه فى أى مكان، مع الاهتمام باختيار النصوص المسرحية الهادفة، التى كانت تعرض على الوزارة قبل السماح بعرضها على المسرح، للتأكد من أنها تتناسب مع أهداف التربية المسرحية.

وقد كان النشاط المسرحى يمارس فى المدارس فى ذلك الوقت على نطاق ضيق، حيث اقتصر غالباً على حفل واحد يقام فى ختام العام الدراسى. ثم تبين فيما بعد للقائمين على شئون المسرح المدرسى بالوزارة، أن المسرح المدرسى لا يؤدى رسالته على الوجه المطلوب، وكما هو مخطط له، لذلك تم إجراء بعض التعديلات التى ساعدت على توظيف المسرح المدرسى فى خدمة تحقيق الأهداف التعليمية، بحيث يرتبط المسرح المدرسى بالمناهج الدراسية. وفى عام (١٩٧١م) صدر قرار وزارى بشأن إنشاء إدارة للتربية المسرحية بوزارة التربية والتعليم، مهمتها وضع القواعد اللازمة لتوجيه وتطوير التربية المسرحية، والعمل على مسرحة المناهج، ومتابعة مختلف الأنشطة المسرحية، والإشراف على المسابقات الدورية بين الإدارات التعليمية على مستوى الجمهورية.

كما اتبعت إدارة التربية المسرحية سياسة تستهدف استمرار مزاولة النشاط المسرحى فى العطلة الصيفية من خلال الأندية الصيفية ومراكز تنمية القدرات، وقد أشارت لائحة العمل بمراكز تنمية القدرات إلى أن الأهداف المرجوة من إنشاء هذه المراكز تتمثل فيما يلى:

١ـ شغل وقت فراغ التلاميذ خلال الأجازة الصيفية، بإشباع ميولهم وهواياتهم الفنية بما يعود عليهم بالنفع.

٢ـ صقل وتنمية القدرات والمواهب لدى التلاميذ فى مجال الفنون المسرحية.

٣ـ زيادة رقعة ممارسة النشاط المسرحى.

٤ـ تنمية الوعى المسرحى، والإلتزام بتقاليد وأخلاقيات المسرح.

وهى أهداف كما يتضح على درجة كبيرة من الأهمية، وللتحقق من مدى بلوغ تلك الأهداف، يتم إجراء مسابقات بين هذه المراكز فى نهاية الأجازة الصيفية، وتتناول موضوعات المسابقة ـ غالباً ـ التاريخ الإسلامى والسير، والتراجم، والقصص الدينى، بالإضافة إلى عروض العرائس المختلفة والإنشاد الدينى والفنون الشعبية، والأغانى الجماعية والفردية... وتضم هذه المسابقة مراحل التعليم المختلفة، بالإضافة إلى مدارس التربية الخاصة، مع منح الفائزين جوائز مادية توزع بمعرفة لجنة التحكيم.

لكن على ما يبدو أن هذه المراكز لم تحقق كل الأهداف المرجوة منها، نظراً لقلة الإمكانيات المادية، والبشرية اللازمة للإشراف على هذه المراكز، خاصة أن اشتراك المدارس فيها اختيارى. وبصفة عامة يمكن القول أن النشاط المسرحى فى المدارس، لم يحظ بالاهتمام الكافى الذى يتناسب مع أهمية هذا النشاط، وأن فلسفة التربية والتعليم التى لا تزال قائمة، هى الفلسفة التى تركز على ذاكرة الحفظ، وإعداد المتعلم لخوض سباق الامتحانات للحصول على أكبر مجموع ممكن، وأن الأنشطة التعليمية تأتى غالباً فى نهاية سلم الأولويات.

* * *

الخلاصة

تعرض هذا الفصل لتاريخ تطور المسرح باعتباره مسرحاً تربوياً، منذ العصور القديمة وحتى الآن، حيث تُعد معرفة الإنسان بالتمثيل معرفة قديمة قدم الإنسان نفسه، والتى اعتمدت فى البداية على التقليد والمحاكاة.

وتم استعراض طبيعة المسرح فى مصر القديمة، الذى يرجع تاريخه إلى الألف الثانية قبل الميلاد، وبذلك فإن نشأة المسرح فى مصر سبقت نشأته فى بلاد الإغريق، حيث يرجع تاريخ المسرح فى بلاد الإغريق إلى عام (٤٩٠ق.م) على يد كل من (أيسكولوس وسوفوكلوس) وقد نجح الإغريق فى وضع الأسس الخاصة بفنيات المسرح، والتى أخذها عنهم فيما بعد بقية دول العالم، خاصة الدولة الرومانية، حيث تأثر المسرح الرومانى، تأثراً كبيراً بالمسرح الإغريقى، إلا أن الأعمال الدرامية التى قدمها الرومان تميزت بالأبهة والعظمة.

وفى العصور الوسطى وبعد ظهور المسيحية تحول المسرح إلى مسرح كنسى يعتمد على الوعظ والإرشاد الدينى، ثم انتقل المسرح بالتدريج من الكنائس إلى الأماكن العامة. وقد كان لعصر النهضة فى إيطاليا بعد ذلك أكبر الأثر فى ازدهار فنون المسرح، التى انتقلت بعد ذلك إلى العديد من دول أوربا.

وفيما يتعلق بالمسرح العربى، فمن الواضح أن العرب قديماً لم يمارسوا التمثيل كما مارسه الإغريق والرومان، حيث كان اهتمامهم منصبا على فنون الشعر والنثر

وصناعة الكلام، إلا أن هذا لا يمنع أنهم قد عرفوا شكلاً من الأشكال المسرحية المعروفة الآن، وهو مسرح خيال الظل، كما كانت هناك بعض الأشكال الفنية، مثل شاعر الربابة والحكواتى والسامر وصندوق الدنيا، والتى مهدت لتقبل الشعوب العربية لفن المسرح، والذى تم إدخاله بشكله المعروف الآن على يد (مارون النقاش) فى بيروت عام (١٨٤٨م) ومنها انتقل إلى مصر حيث ازدهر وتطور الفن المسرحى.

وبالنسبة لتطور المسرح المدرسى فى مصر، تشير المصادر إلى أن أول ظهور للمسرح المدرسى فى مصر كان عام (١٨٧٩م) على يد (عبدالله النديم) وفى عام (١٩٢٢م) تم إنشاء أول مسرح مدرسى فى مدرسة الخديوية، ثم تطورت الأوضاع إلى أن صدر قرار وزارى عام (١٩٧١م) بإنشاء إدارة للتربية المسرحية بوزارة التربية والتعليم تتولى مهمة الإشراف على إعداد برامج التربية المسرحية على مستوى الجمهورية.